الحمام القلاّب وتوليده

تقلّبُ بانتظام في الهواء حمائم هنّ زينة كل واء
ملوّنة وليس هناك صبغ بالوان حوت كل البهاء
حمائم كلما رمنَ افتراباً من الارض ارتفعن الى السماء
وعدنَ صواعداً متقلبات وليس صعودهنّ بلا عناء
هجرن وكونهن بها اضطراراً فطرن من الصباح الى المساء
اذا رمنَ الوقوع على بيوت وبينَ بها انقلبنَ الى الوراء
بتصفيق يلذّ لسامعيهِ وتصعيد ورقص في الهواء

الحمام الداجن كثير في البلاد غير ان العراقيات منهُ تمتاز عن غيرها بصفات فاضلة ومن اقسامها ذوات الالوان الجميلة المتوّجة وبسمونها " الخارشت " من ابيض يقق واحمر قان واصفر ناصع واسود غربيب وازرق شذري واكثر هذه بيض الرقاب والرؤوس وكلها مكتسية الارجل بريش من لون جسدها لا توجد في غير بغداد فيحافظ عليها مقتنوها مغالين بها ولا يطيرونها خوفاً عليها من الضياع والتي تطار اسراباً في دونها حسناً ولعاناً

ومنها البرّص وهي بيض مكتسية الارجل بريش كثيف طويل قد يبلغ ٣٠ سنتيمتراً فاذا طالعت ظن الرائي ان لها اربعة اجنحة وهي من نوع القلاّب وقد اخذت نقلهُ فلا توجد الاّ نادراً وهي كذلك خاصة ببغداد - ومنها الزاجل وهذا التسم رجلهُ مجردة من الريش لهُ لحمة حمراء على انفهِ وعينان تحاطتان بجفون عريضة حمر ومنقارهُ طويل قد يبلغ عشر سنتيمترات وهو اكبر من سائر اصناف الحمام مرتين او ثلاثة والمرغوب فيهِ منهُ ما كان شقّ منقارهِ الاسفل اطول من الاعلى بكثير فلا يستطيع ان يلتقط الحب الاّ من كأس معدّة لهُ او حفرة. وهو بغدادي قد قلّ الآن وجودهُ واكثرهُ أُخذ الى الهند واوربا وقد صادف ان بعضهُ قفل طائراً من بلاد الهند الى بيتهِ في بغداد من غير ان يعرف الطريق من قبل ولولا نقل الثقات ما صدّقت الخبر لانهُ لا يقدر ان يلتقط الحب في الطريق اللهمّ الاّ اذا قلنا انهُ قطع المسافة في يومين ولم يأكل فيها شيئاً وذلك غير بعيد من سرعة طيرانهِ

ومنها القلاّب وسأطيل الكلام عليهِ لانهُ موضوع مقالتي فاقول : — هذا الصنف يغالي بهِ العراقيون منهُ الابيض الفضيّ والازرق الصابوني والعنبري والبخاري والرمادي والسماوي والدميري والزنجي وافضلها ما يرتجف اذا كان على الارض - وهو قسمان موصلي و بغدادي

يتاز الموصلي عن البغدادي بتضييق الجناحين اذا طار في البيت وانهُ اذا تقلب سمع لهُ نرقعة شديدة وقد جلب منهُ كثيراً الى بغداد وضرّب بالبغدادي حتى صار جلّ حمام بغداد القلاّب يصفق مثلهُ واما البغداديات فقد قلّت ويقال ان بعض الموصليات قفل طائرًا الى بلده الموصل من بغداد بعد جلبهِ منها في اقفاص على الكلك

ولا اعرف وطن القلاّب الاصلي والظاهر ان الذي رجلهُ مكتسية بريش كان يعيش في بلاد باردة ثلجية بدليل الريش الذي على اصابعهُ وقد جلبهُ بعض الناس سبقى الزمن القديم للخلفاء العباسيين فحافظ عليهِ الاهلون في بغداد والموصل وما جاورها والمرغوب فيهِ منهُ ما كان منقارهُ مثنىً قصيرًا وعيونهُ وجفونهُ بيضاء اذا كان اسود زنجيًا

وقد يتولد من الحمام الاحمر من الصنف الذي لا يتقلب عادة بعض افراد تتقلب وقد تتعوق في طيرانها الى الظهر في الشتاء ولكن الاهلين يتشاءمون منها فيبيعونها ولو انتخبوا الزوجين منها مما يتقلب لتأصلت في نسلها صفة التقلب وتولد منها صنف يتقلب كالازرق (البغداديون يسمون الطيور القلاّبة بالزرق والتي لا تتقلب بالحمر) والظاهر انها في الاصل كانت تتقلب كالزرق ثم اضعف البشر هذه الخاصة فيها وتتقلب بعضها رجوعٌ الى الاصل

لا يتقلب الحمام اول ما يطار وهو فرخ او كبير لم يطر قبل بل يطار الفرخ عند تساوي قوادمهِ فيميل في بعض الآونة وهو طائر الى الوراء كانهُ يريد ان يتقلب فيقال انهُ "يتمدّد" ويبقى كذلك مدة من شهر الى ستة اشهر فاكثر فاذا كان حادًا اسرع والاّ ابطأ والمبطئ احمد . ولا يخفى ان الفرخ يرمي كل عشرة ايام او اسبوعين ريشة من قوادمهِ العشر فاذا رمى الريشة الاولى بادئًا من القصار مما يلي الخوافي قيل " ذو ريشة " واذا رمى الثانية قيل ذو ريشتين فثلاث الى العشر . اما الحادّ فيبدأ بالتقلب وهو ذو ريشة او ريشتين او ثلاث وهذا يفسد في الغالب فيقال " بزبز " (وهو ان لا يقدر الحمام على الطيران لكثرة تقلبهِ) وهو " بزباز " والذي يبدأ في الرابعة والخامسة او السادسة فما فوق لا يفسد غالبًا . والعادة ان يجمع صاحبهُ سربًا منهُ من عشرة الى مائة حسب استطاعتهِ و يشدّ عليهِ بالطيران كل يوم من خمس عشرة دقيقة الى ساعة فاكثر وذلك بعد ان يتركهُ على السطح حتى يعين مكانهُ ويحافظ عليهِ من الضياع والاختلاط بسراب مشتملة لغيرهِ ومن غالب المرورة . ويطعم في اليوم مرة او مرتين واخف طعام لهُ الذرة . فاذا قويت الفراخ وهيّن السطح وطال فصلين (وهو مدة الطيران) من ساعة الى ساعتين امن عليهنّ الضياع فحينئذٍ يبدأ الواحد بعد الآخر بالتقلب وذلك فجأة فيشخصهُ صاحبهُ ويتسل ذنبهُ برمتهِ او من وسطهِ وعندئذٍ يخف

تقلبهُ قليلاً ولا يقع في غير سطحهِ الاَّ نادرًا. والاصل تشتد عليهِ الحال في اول الامر ويتشوَّش ويمضي على وجههِ تائهًا فيعتزل رفاقهُ ويوالي التقلب بدون فاصل فاذا وقع وقع وهو ميِّت

قلنا انهُ يبدأ بالتقلب فجأة فيشتدّ امرهُ في اليوم الثاني عاليًا ويحيد عن رفاقهِ مصعِّدًا في الجوّ ومبعِّدًا حتى يكاد لا يُرى هكذا الى ثلاثة ايام يطير ويتقلب متماديًا ايمًا صادف حتى "يصفي" وهو ان يتقلب بانتظام فاذا صفّى لم يتقلب الاَّ اذا حاذى سطح بيتهِ وحينئذٍ يتأخر عن رفاقهِ في الوقوع بضعة دقائق ويزيد تأخرهُ كلَّ يوم اكثر فاكثر الى بضع ساعات فيلزم قرارهُ ويقال لهُ حينئذٍ "ساروح" وذلك يكون عادة اذا خرج ذنبهُ الى النصف او الثلثين فترتفع منزلتهُ عند صاحبهِ ويفاخر بهِ سائر المطيرين والساروح يكون غبيًّا كأنهُ ريش لا غير

كثير من الحمام القلاّب يطير من الصباح الى الظهر وهو لا يغالى بهِ في هذه الحالة كثيرًا ويطير بعضهُ من بزوغ الشمس الى العصر وهذا مقبول ويطير البعض منهُ طيرانًا متصلاً من الصباح الى المساء وهذا هو الغاية . ومن شرطهِ ان يبعد في طيرانهِ عن سطحهِ بضعة اميال وان لا يرتفع في طيرانهِ كثيرًا ولا يتقلب كثيرًا لان التقلب الكثير يتعبهُ فيسقط اما على نخلة او منارة وان لا يتقلب الاَّ اذا رام الوقوع على بيتهِ ينقضُّ على وكنهِ حتى اذا بقي لهُ مترٌ او مترانِ عن الارض شهق فرجع القهقرى مندفعًا بشدّة الى السماء كأنهُ شابة صاعدة في الجوّ ويصحب ذلك فرقعة شديدة فيتقلب اثناء ذلك ثلاثًا او اربعًا الى عشر مرّات ويكون الصعود من ثلاثة امتار الى عشرين فيقال حينئذٍ "جرّ الحمام" والتصعيد الطويل تتعدّد فيهِ الشهقات متوالية فاذا صحا توجه الى ناحية في السماء ومضى على وجههِ غير مختلط بسربهِ في الاكثر حتى اذا ابعد عن النظر رجع ثانية

ان الحمام الذي يطير من الصباح الى المساء فاكثر ليس بكثير وانما يصادف في كل سنة وجود ثلاث او اربع منهُ في كل بغداد وهذا في الغالب انما يولد من ابوين مثلهُ معلومي النسب معتقين . وقد جمعتُ مدة عشر سنوات من احسن الحمام واعلقهِ وصارت عندي منهُ كثرة لا توجد عند غيري فطار كل سنة ثلاث او اربع منهُ الى المساء في الشتاء واما في الصيف فلا يطير الحمام اكثر من ست ساعات او سبع . وقال لي بعض المختصين انهُ كان لاحدهم ذكر من الحمام يطير في حرّ الصيف الى المساء وبقي كل الصيف هكذا الى سنتين وقال انهُ كان اذا اشتدَّ عليهِ الحرّ يعلو في السماء حتى يكاد يختلط بالسحاب طلبًا للبرودة وكلما رام الوقوع على بيتهِ هبط نشهق (اي جرّ) فتقلب وصعد ثانية هكذا الى المساء

اما انا فسقط في حمارة الصيف بعض حمامي بعد الظهر في البر وضاع وكذلك ضاع مني بعضهُ في صبارة الشتاء بعد المساء وقد اختلط الظلام وقبل ان يتسع تردد كثيراً كي يقع على بيتي فلم يستطع لشدة شهقاته واخيراً توجه الى جهة المغرب لان الضياء كان فيهِ اكثر فلم يعد

اما سرّ التقلب فلم يكتشفهُ حتى الآن احد ويظن البغداديون ان الحمام يأتي ذلك باختيارهِ بطراً منهُ وانبساطاً وهو خطأ لانهُ يتعذب كثيراً من التقلب والتصعيد الفجائي على الصورة المرئية منهُ حتى ان بعضهُ قديدمي اصل ريشهِ (القوادم) ويجري الدم منهُ ولا ينزل بل يجوع ويعطش ويحمى عليهِ الوقت فيلهث وهو طائر ولا ينزل بل يقع بعضهُ عند المساء على نخلة او على تحل آخر مرتفع فيبيت ليلتهُ صائماً ويطير في الصباح ويتقلب على سطح صاحبهِ الى المساء وعندئذ يقع ثانية على النخلة او المحل المرتفع وهو يكاد يموت جوعاً وعطشاً وقد يكون ذلك ثلاثة ايام في الشتاء ويكتفي بعضهم بقولهِ انهُ لفعل ذلك بغريزتهِ او بقدرة الله جلَّ وعلا

وسألت المقتطف الاغر قبل اثنتي عشرة سنة تقريباً عن كيفية تولد الحمام القلاَّب لأعلم آراء القريبين فيهِ فقال لي اتذكر ان داروين يرى ان هذا الصنف من الحمام قد ثقل رأسهُ بالنسبة الى جسدهِ فصار يتقلب في طيرانهِ لهذا السبب وهو بعيد عن الصواب لان الحمام القلاَّب لا يفرق رأسهُ عن رأس غيرهِ من الحمام الذي لا يتقلب ولانهُ يبدأ بالتقلب فجأة ويبعد ان يثقل رأسهُ اكثر مما كان فجأة ولانهُ اذا ترك فلم يطر مدة ترك التقلب فلماذا لا يثقل رأسهُ في هذه الحالة ولانهُ لو كان ثقل الرأس سبباً لتقلبهِ لوجب ان يتقلب الى الامام لا الى الوراء

واما الذي أراهُ سبباً للتقلب فهو ان هذا القسم من الحمام كان يسكن في سالف الدهر ارضاً كثر فيها وجود حيوان صغير مفترس يثب عليهِ كلما اراد الوقوع على الارض فيأخذهُ طعاماً لهُ ولم ينجُ منهُ الا المسرع في الرجوع القهقرى الى السماء ولما كان ذلك غير كافٍ لنجاتهِ ما نجا منهُ الاَّ الذي اسرع في الرجوع وتقلب اثناءهُ الى الوراء حفظاً لحياتهِ من مخالب عدوهِ الخفيف وذلك وفقاً لقانون بقاء الاصلح فتأصلت هذه الصفة فيهِ وصارت طبيعة افادتهُ في وقت الحاجة ولا انكر ما للانتخاب الصناعي من اليد في ذلك فقد حسن في اعين الناس تقلبهُ فصاروا ينتخبون الانثى المتقلبة لتذكر المتقلب في سنين واحوال حتى رسخ التقلب في نسلهِ وظهر فيهِ كلما اطير مدة والدليل عليهِ ان الذي يطول طيرانهُ لا يشبق ولا يتقلب الاَّ اذا هبط يريد الوقوع على بيتهِ كأنهُ وجل من عدوٍّ كامنٍ لهُ في الارض واما الذي يتقلب

عالياً وفي كل مكان فهو انما يأتي ذلك بعد ان صار القلب صفة راسخة فيهِ يرجع اليها بمجرد ارادة الهبوط الى محلهِ وان كان في كبد السماء . وقد يتقلب احد افراد السرب فيهيج ذلك السرب كلهُ فيتقلب مجموعهُ دفعة واحدة متواقعاً في السماء وهو منظر بديع

بغداد جميل صدقي الزهاوي

[المقتطف] لقد رأيت لنا هذه المقالة من وجهين الاول انها أرتنا انهُ لا يزال في بغداد في هذا العصر اناس يلهون بهذه الملاهي المخلة التي تفكه النفس وتطرب القلب فلم يخيم ليل الظلم على البلاد كما يصورها قوم . والثاني ان حضرة الكاتب ارتأى رأياً وجيهاً في اصل الحمام القلاب لو سمع بهِ هارون او خطر على بالهِ لاحلهُ محلهُ من الوجاهة

الفلسفة اليونانية

مرَّ على اليونانيين زمن كانوا فيهِ مشكاة العلم ومداة الحكمة توسدوا سدة التمدن وتربعوا دست الحضارة وبلغوا فيها الشأو البعيد ومنهم نبغ امهر الصناع وابلغ الشعراء وافصح الخطباء واشهر العلماء وهم اهل الفلسفة السابقون في حلباتها والفائزون في قصباتها والرافعون لواء الحكمة في العالمين . ولئن دالت تلك البسطة في العلم وكرَّت العصور على ما وضعهُ اولئك الاساطين من الحكمة فما برح الكلام عنها من مراقي الادباء يتداعون اليهِ تداعي الجياع الى القصاع

ولا يخفى ان الصفة المميزة للفلسفة اليونانية على سواها من الفلسفات القديمة انها مستقلة في ذاتها لا تستند في احكامها على الدين ولا تنسبُ اقوالها الى مصدر ربَّاني وانما وُجدت بين جماعة لا غاية لهم غير انشاد الحقيقة واعلاء شأن العلم بينما كانت الفلسفات الشرقية في جميع ابحاثها تتبع احكام العقائد ونصوص الكتب الدينيَّة واذا جاءت بشيء آخر اوردتهُ باسم الدين . اعتبر ذلك في انَّ العلم في مصر كان بيد الكهنة وكانوا اذا قالوا برأي عزوهُ الى الوحي ومثلهم كان الكلدان والفرس الذين حصروا العلم في صدور الموابذة الذين لم يكونوا من بعد زورواستر الاَّ مفسرين لما اوتنوا عليهِ من الكتب المقدسة . ومع ازدهاء الفلسفة في الهند وتفوقها على سائر الفلسفات الشرقية كانت لا تخرج في ابحاثها عما جاء في كتاب الفيدا وفوق ذلك انها كادت تحسب واضعي الفلسفة من قومها في مرتبةٍ تقرب من الربوبية . وكذلك الصين التي مع انها لم تسند اوضاع حكمتها الى الوحي او الى مصدر فوق